التنافس الدولي والاقليمي على

ثروات بحر قزوين

هاشم كاظم صبيخي

كلية التربية – ميسان – جامعة البصرة

المقدمة : شهد العالم خلال العقد الأخير من القرن الماضي تطورات جيوبولتيكية كبيرة أهمها انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور دول مستقلة جديدة منها أذربيجان كازاخستان تركمانستان، جورجيا الخ ...) وما تبعها من تغيرات في أنماط العلاقات والصراعات بين دول العالم، ومن بين ذلك التنافس والصراع حول ثروات بحر قزوين خاصة بعد أن احتلت تلك المنطقة مكانة مهمة في الخريطة العالمية لما تملكه من ثروات هائلة من النفط والغاز الطبيعي، ولم يقتصر التنافس والصراع بين الدول المطلة على بحر قزوين، روسيا، ايران أذربيجان، تركمانستان، كازخستان بل امتد إلى دول المجال الإقليمي والعالمي مثل تركيا، إيران، الولايات المتحدة الأمريكية، التي اصبحت على مقر به من حدود تلك المنطقة بعد احتلالها أفغانستان والعراق تحت مظلة الحرب على الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل ونشر الديمقراطية. وبعد ظهور دول مستقلة جديدة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي تسعى للحصول على

تقسيم جديد للثروات في بحر قزوين وهذا بدوره يؤدي نشوء وضع قانوني جديد باعتبار البحر دوليا وليس داخليا كما تريد الدولتان (روسيا وأيران).

ومن اجل تحليل أفاق الصراع والتنافس الجيوستراتيجي في هذه المنطقة لابد للبحث من دراسة الخصائص المكانية لمنطقة البحث لإبراز العوامل الدافعة لهذا الصراع ومن ثم تحليل المجال الإقليمي لها والعلاقات التبادلية بين أطراف هذا المجال ضمن اطار وقواعد اللعبة الدولية الجديدة.

الخصائص المكانية لمنطقة بحر قزوين:

بعد بحر قزوين[1] اضخم بحيرة مغلقة في العالم، إذ يبلغ طولها (١٢٠٠) كم وعرضها (٣٠٠-٥٠٠) كم في المتوسط، ويقع فيها (٥٠) جزيرة صغيرة وتبلغ مساحتها (٤٥٠٠٠٠) كم^2 ، وتستوعب البحيرة (٧٩٠٠٠) كم من الماء ومتوسط عمقها (١٨٠) م اعمق نقطة فيها نقع بالقرب من السواحل الإيرانية، وينخفض مستوى سطحها عن مستوى سطحالبحر (٢٧,٦) م ، وتبلغ كمية المياه الواردة إليه سنوياً حوالي (٣٠٠) الف كم^2 ، يتم تأمين (5) منها من الأراضي الإيرانية، وهنالك ثلاث انهار رئيسية (الفولكا – الأرال – الترك) تصب في بحر قزوين جميعها تجري من الشمال إلى الجنوب ويشكلون (٨٨) من مياه البحر، وبعد نهر الفولكا اهم الموارد المائية لهذا البحر.

تقع منطقة الدراسة بين خمس دول روسيا الاتحادية من الشمال الغربي وإيران من الجنوب الغربي، وكازاخستان ومن الشمال الشرقي، وتركمانستان

(1) يأخذ مسميات عديدة مثل بحر الخزر، طبرستان مازندران خراسان، جرجان، اسسكون .. شيفرون أكسسون موبيل .

من الشرق، وإذربيجان من الغرب، ينظر خارطة (١). وبعد شاطئ كازاخستان هو الأطول على البحر أذ يبلغ طوله (١٩٠٠) كم، وايران(٨٢٠) كم ، وروسيا وتركمانستان (٣٠١٩) كم و الشاطئ الآذري (640) كم أقصرهم (1).

الخصائص الاقتصادية:

يكتسب بحر قزوين أهميته العالمية لاحتوائه على احتياطيات كبيرة من النفط والغاز الطبيعي، فضلاً عن احتواء مياهه على ثروات مهمة اخرى خلافاً لباقي البحار، فمياهه مشبعة بالكبريتات وغنية بالأسماك (الكافيار والسلمون) يقدر احتياطي بحر قزوين من النفط بـ (٢٠٠) مليار برميل نفط سنويا، لكن التقديرات القريبة من الدقة تذكر ان هذا الاحتياطي يترواح بين (٣٠ – ٤٠) مليار برميل او حوالي (90) مليار برميل سنويا (٢) كما تداوله شركات النفط الغربية الكبرى التي تنشط في المنطقة ويحتوي على نحو (5) ترليون مكعب من الغاز الطبيعي تستحوذ كل من روسيا وإيران على (٧٠) من المخزون العالمي للغاز، في حين تشير التقديرات الإمريكية إلى أرقام تفوق هذه التقديرات، فقد وصف الخبير الأمريكي ستيفن كينزر) بحر قزوين بأنه كتلة ماء مالحة بحجم كالفورنيا وبأنه اضخم كمية محصورة من الماء تخبئ تحت قاعها ما يقارب (٢٠٠) مليار من النفط أو ما يعادل (١٦) % من احتياطي النفط العالمي، ويتفق (جوليان لي الخبير في دراسات الطاقة الذي يتخذ من لندن مقراً له، مع (كينزر)، ويضيف أن البحر يحتوي كذلك على نحو (٦٠٠) مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي.

و مهما اختلفت التقديرات بشأن ثروات بحر قزوين تبقى أهميته قائمة حالياً

تناقص هذه الثروة من قبل الدول المنتجة، إذا استهلكت الدول الصناعية ما معدله (٥٨) % من الاستهلاك العالمي في عام ١٩٩٥، واستهلك الولايات المتحدة وحدها (٢٥) منه، فالفرد الأمريكي يستهلك (٢,٥) ضعف استهلاك الفرد في الدول الصناعية المتقدمة الأخرى، والأرقام المعلنة في عام ١٩٩٦، تشير إلا ان الولايات المتحدة استهلك عشرين مليون برميل من النفط يوميا (٣) وبناءاً على ما تقدم اتضح الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية القائمة الحوض بحر قزوين وأدى هذا إلى تنافس بعض القوى الإقليمية والدولية فضلاً عن تكالب شركات النفط العملاقة الغربية وغير الغربية عليه، حيث وصل الحال إلى حد تسارع الشركات النفطية الأمريكية إلى السعي للاستئثار بنصيب الأسد من امتيازات التنقيب عن النفط والغاز، بل إلى شراء وامتلاك حقول بأكملها للنفط والغاز في الجمهوريات المستقلة لأغراض البحث والإنتاج والتصدير(٤.)

الوضع القانوني لبحر قزوين وتداعياته السياسية:

شهد النظام القانوني لبحر قزوين تطورات مهمة خاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ ، وما أعقب ذلك من ظهور دول جديدة أكثر اهتماماً بمصالحها، ومن هنا أصبحت الاستفادة الأحادية من تلك المصادر الموجودة في بحر قزوين محوراً لنشأة خلافات ونزاعات عديدة وساعد على ذلك التقدم التكنولوجي الهائل الذي شهدته المنطقة خلال العقود الأخيرة، فقد أدى استخراج الموارد المعدنية والنفطية والغاز فضلاً عن اكتشاف العديد من الحقول، إلى زيادة أهمية بحر قزوين الاقتصادية.

كان النظام القانوني للملاحة في بحر قزوين واستغلال ثرواته قبل انهيار الاتحاد السوفيتي يتأسس على اتفاق ١٩٢١ الذي وقعته حكومتا الاتحاد السوفيتي وايران آنذاك وتم بموجب إلغاء القيود المفروضة على حرية

الملاحة، وهناك اتفاق آخر وقع عام ١٩٤٠ بين الدولتين خاص بتحديد المياه الإقليمية الخاصة بهما إلى جانب اشتراكهما في الانتفاع بثروات البحر، غير ان تفكك الاتحاد السوفيتي واستقلال الدول الثلاث عنه والمطلة على بحر قزوين (أذربيجان، وكازاخستان و تركمانستان)، أدى إلى نشوء وضع سياسي وقانوني دولي جديد، فقد رفضت الدول الثلاث مقترحات ايران باعتبار البحر بحيرة داخلية على المشاع، كما رفضت اقتراحاً روسياً –ايرانياً مشتركاً بالعودة والالتزام باتفاقية عام ١٩٤٠ ، وطالبت بصياغة نظام قانوني جديد تتفق عليه الدول الخمس (٢)، وعليه يمكن القول أنه أصبح هناك موقفان حول الخلافة في منطقة بحر قزوين.

الأول: تقوده روسيا و ايران وتركمانستان ويدعو إلى اعتبار بحر قزوين حوضاً مائياً وبحيرة تتقاسم الدول المتشاطئة احتياطات النفط الموجودة فيه ولا بد من الالتزام بالاتفاقيتين (١٩٢١ – ١٩٤٠) ورغبت موسكو بالتمتع بحق الفيتو لتعطيل أي قرار يتعلق ببحر قزوين، وهكذا فمن حق هذه الدول استثمار المناطق المتاخمة لهذا البحر على بعد ٢٠ ميلاً، في حين نجد وسط قزوين وحتى (٤٠) ميلاً ملكاً للدولة المطلة عليه.

الثاني: تدعمه أذربيجان وكازاخستان ويدعو إلى سريان قانون البحار على بحر قزوين واقتسام أجزاءه المتشاطئة ويعني ذلك اعتباره بحيرة حدودية مقسمة إلى خمس أقسام كل منهما يمثل مياهاً إقليمية تتبع الدول الساحلية المطلة على البحيرة ولها وحدها الحق في هذا الجزء من البحيرة، الأمر الذي يجعل مناطق النفط تابعة لكل من أذربيجان وحليفتها كازاخستان، وترفضان في الوقت نفسه اتفاقيتي (١٩٢١ – ١٩٤٠) باعتبار أنهما لم تتناولا إلا الملاحة وصيد الأسماك ولم تتطرق إلى استغلال الموارد الطبيعية، فهما باطلتان في الوقت الحاضر (٣).

وعقدت عدة اجتماعات لتسوية الوضع القانوني للبحر، ففي شتاء ٢٠٠١ عقد اجتمع في موسكو تحت عنوان مناقشة الوضع القانوني لبحر قزوين حضرته الدول الخمس فضلا عن الولايات المتحدة، وعقد اجتماع آخر في تركمانستان في نيسان ٢٠٠٢ ، ألا انهما أخفقا في التوصل إلى وثيقة تحدد الأطر القانونية لتقاسم ثروات بحر قزوين.

وهكذا تحول النظام القانوني في أكبر بحيرة بالعالم إلى واحدة من أهم القضايا السياسية، وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي جرت وصولاً الأحداث تفاهم بين جميع الدول المطلة على ساحل بحر قزوين، ألا أنها فشلت في التوصل إلى تسوية مقبولة حول الوضع القانوني للبحر من جهة وحول اقتسام ثروات الطاقة التي يحتوي عليها من جهة أخرى، وعليه يمكن القول ان الدول المستقلة الجديدة تريد وضعاً قانونياً جديداً ينطلق من مصالحها الذاتية وارتباطاتها الدولية، فضلاً عن حاجتها اقتسام ثرواتها على أساس طول الساحل الذي تمتلكه كل دولة، بينما تتمسك كل من روسيا وايران بالاتفاقيات السابقة ولا تريدان وضعاً جديداً قد يؤدي في النهاية إلى ان تدفع تلك الدولتان ثمن أي وضع قانوني جديد ينتقص من امتيازاتها السابقة في بحر قزوين وعلى وجه الخصوص الثروة النفطية فيه، لذلك اصبح الوضع القانوني لبحر قزوين بعد عام ١٩٩١ موضع بحث ودراسة للمعنيين بشؤون آسيا الوسطى والقوقاز للخروج بصفة مثلى ومقبولة من قبل كافة الأطراف المتنازعة على ثروات هذا البحر (٨).

المواقف الأقليمية والدولية من الوضع الجديد:

يتضح من خلال الأحداث التي شهدتها المنطقة خاصة بعد هجمات ١١ أيلول على الولايات المتحدة الأمريكية، إذ المشكلات الأمنية في بحر

قزوين قد تفاقمت وأنها تسببت في منافسات شديدة بين القوى الإقليمية والدولية يهدف خلق تواجد عسكري في هذه البقعة من العالم، ووضع ترتيبات جديدة في المنطقة التي تعاني من تفاوت وجهات النظر بين الدول المتشاطئة على بحر قزوين حول إقرار النظام القانوني وعدم تماثل المصالحالمشتركة، وان تلك المشكلات هيأت الظروف لإيجاد تنافس دولي وإقليمي حول ثروات تلك المنطقة للاستئثار بنصيب وافر منها، وسوف نتناول موقف كل دولة من تلك الدول المتنافسة بالتفصيل.

1-الموقف الروسي:

استحوذت منطقة بحر قزوين على اهتمامات موسكو الأمنية والاقتصادية وبذلت مساعي حقيقية لأحياء مكانتها السابقة في إطار علاقات جديدة مع دول بحر قزوين وعلى الرغم من التذبذب في الموقف الروسي تجاه الوضع القانوني والذي يتأرجح بين القول بأن البحر يعد بحراً داخلياً خالصاً لا يرتبط بتواصل طبيعي مع أي بحار أخرى ومن ثم باره (أرثاً مشتركاً) بين الدول المطلة عليه، وبين إمكانية التلويح باحتمالية تقاسم ثرواته وشواطئه على أساس متساو، ألا أن الخط الرئيسي الحاكم لتوجهات موسكو يذهب إلى اعتبار البحر بحيرة داخلية خالصة). وهناك مخاوف روسية واسعة بعد الحملة على أفغانستان فضلا عن عزم حلف الناتو التوسع باتجاه آسيا الوسطى وكذلك حراسة أنابيب نقل النفط من البحر ستوكل إلى القوات الأمريكية في قاعدة انجرليك التركية، وهذا ما دفع موسكو إلى رفض تقسيم بحر قزوين بين الدول المطلة عليه، وتسعى إلى جعله بحيرة داخلية لا يمكن تقسيمها إلى مياه إقليمية. وتحاول روسيا تحجيم التعاون الشامل لدول

آسيا الوسطى مع واشنطن، لأن منطقة آسيا الوسطى قريبة من حدودها وان التواجد العسكري الأمريكي الطويل الأمد سيهدد سيادة ونفوذ روسيا، وشددت على ضرورة تطوير الأسطول الحربي في بحر قزوين ووصفته بأنه العامل الرئيسي للحفاظ على مصالح الدولة السياسية والاقتصادية خصوصاً وان روسيا ما زالت تعد هذه المنطقة من مجالها الحيوي، وان أي محاولة للتغلغل الغربي والأمريكي بعد ماساً بأمنها القومي (١٠) وقد بذلت روسيا مساعي حقيقية لأحياء مكانتها السابقة في إطار علاقات جديدة مع دول بحر قزوين، حيث وقعت اتفاقا مع كازاخستان من أجل تقسيم الموارد وأجراء مناورات عسكرية في بحر قزوين، وإعلان انشاء قوات الرد السريع من جانب الدول الأعضاء في مجلس الأمن الجماعي " ومما يجدر ذكره أن النفوذ الروسي السابق قد تدهور في دول آسيا الوسطى والقوقاز بسبب المشكلات الداخلية وعدم تمتع دولها بالاستقرار الاقتصادي والسياسي والثقافي وهو الباعث على تحول الدول المستقلة تجاه خارج نطاق المنطقة من أجل الاستفادة من المساعدات الأمنية والاقتصادية والسياسية، لكن التطورات الأمنية في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز، بعد إحداث 11 أيلول، اتاحت فرصة استثنائية لروسيا من أجل الوصول إلى أهدافها الأمنية والاقتصادية، وفي إعادة النظر في المنطقة من حولها وإقرار علاقات جديدة مع دولها (١٢).

2- الموقف الإيراني:

تتمتع إيران بميزات إستراتيجية مهمة تمكنها من تأدية دور حيوي في منطقة بحر قزوين وذلك بسبب موقعها الجغرافي وامتلاكها للإمكانات اللازمة لإنتاج السلع الاستهلاكية التي تحتاجها دول المنطقة فضلاً عن امتلاكها الكفاءات والقدرات العالية في إنتاج وتكرير النفط والغاز الذي يمثل

١٩٥ – المصدر نفسه ، ٦٣٤.

١٩٦ – المصدر نفسه ، ٢٢.

١٩٧ – المصدر نفسه ، ٢٧٠.

١٩٨ – المصدر نفسه ، ٥٤٥.

١٩٩ – المصدر نفسه، ينظر على سبيل المثال ٦٩ ، ٩٥ ، ١٨٠ ، ٢١١ ، . ٧٠٩ ، ٩٧٨ ، ٥٤١، ٥٥٥ ، ٦٣٣، ٦٥١ ، ٦٥٥.

٢٠٠ – المصدر نفسه ، ١٦٥ . وينظر أيضا ١٥٧ ، ٢٥٢.

٢٠١ – المصدر نفسه ، ٢٠٢ . وينظر أيضا ١٦٧ ، ٣٧٥ ، ٤٥٢.

٢٠٢ – المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ٢٢ ، ٥٩ ، ١٩ ، ٩٣ , ٢٧٠.

٢٠٣ – المصدر نفسه ، ٣٠٣.

٢٠٤ – المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ٦٩ ، ١٣٨ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٧٣ ، ٣٥٧ ، ٣٤٦

٢٠٥ – المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ٢٦٣ ، ٣١٣–٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٥٨٧ ، ٦٠٣ –٥٨٣ ، ٥٨٢ ،٥٨٠ – ٥٧٠ ، ٣٣٤٦ – ٣٤٨، ٣٥١ – ٥٧ ٦١٦ .

٢٠٦ – المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ٢٦٠ ٢٦١ ، ٣٧٨ ، ٤٣٦ . ٤٤٤ – ٤٤٥ ، ٤٥٧ ، ٥٥٧ ، ٥٨١ ، ٦١١ .

٢٠٧ – المصدر نفسه ، ٣٧٥ ، ٤٢٤ ، ٤٧٨، ٥٤١، ٥٥٥.

٢٠٨ – المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ١٥٣ ، ١٩٢ ، ٢٣٢ ، ٢٩١ ، ٦٢٠ ، ٥٩١ ، ٦٢١ ، ٦٢٣ ، ٥٩٠ ، ٥٣٢ ، ٤٤ ، ٤٩٦٠ ، ٣٢٠ ، . ٧٠٨ ، ٦٤٩، ٦٥١.

3 –مواقف الدول المستقلة:

أولاً، ذربيجان، وهي من الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي ولديها احتياطات كبيرة من النفط والغاز الطبيعي حيث يقدر احتياطي النفط ما بين (٣,٥–٥) بليون طن فضلا عن (٦٠٠) بليون متر مكعب من الغاز.

ولقد انحازت أذربيجان إلى المواقف الداعي إلى تقسيم البحيرة بين الدول الساحلية بناءً على القواعد الدولية للبحار وتقسيم سطح البحيرة طبقا لخطوط المنتصف، بادرات إلى ادخال مقترحاتها بشأن بحر قزوين إلى قوانينها الأساسية وأن إصرارها على هذا الموقف يعتمد على توجهات اقتصادية وسياسية تساندها في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية عسكريا وسياسياً واقتصاديا والداعي إلى تطبيق اتفاقيتي الأمم المتحدة لقانون البحار العام ١٩٨٢ على بحر قزوين مما يعني وضع صياغة قانونية جديدة باعتباره بحرا دوليا تتقاسم الدول المطلة عليه سواحله وثرواته بناء على حجم تواجدها على الساحل وفي إطار هذا التوجه طورت أذربيجان علاقاتها مع الولايات المتحدة في مجال استكشاف واستثمار ونقل النفط، إذ وقعت معها في أب ١٩٩٧ ثلاث عقود مع شركات شيفرون وأكسسون وموبيل لصالح شركة النفط الحكومية بقيمة تصل إلى (٨) مليارات دولار، وقد أثارت تلك العقود غضب الحكومة الروسية التي ردت عليها بالغاء الاتفاقية الروسية – الأذرية، الاستثمار حقول (كيا باز) على بحر قزوين .

ثانيا: تركمانستان:

لديها أيضاً احتياطات ضخمة من النفط والغاز الطبيعي إذ تبلغ الكمية بـ(٦,٥) مليون طن، بالإضافة إلى (٥,٥) ترليون متر مكعب من الغاز وهي بذلك تعد رابع

دولة في العالم بالنسبة للاحتياطات المكتشفة (١). وقد اتخذت تلك الدولة موقفاً متشددا من قضية بحر قزوين، فبالإضافة إلى توجهاتها الغربية فأنها لم تخف سياستها الهادفة إلى العبور للبحار المفتوحة ضمن طريق قناة فولكا –دن، لأنها تريد الخروج من العزلة وتحتاج إلى طرق اتصال وارتباط مع البحار المفتوحة، وانها تشجع وتأزر أي خطة تلبي مطالبها وتقوم بتأمين مصالحها في هذا البحر . وضمن هذا التوجه فقد دعت الامم المتحدة لتولي مسؤولية دعاية مفاوضات الغرض منها التوصل إلى الوضع القانوني الخاص بالبحر في أعقاب نزاعها مع أذربيجان حول التنقيب في حقل (سبزدار) النفطي (٨).

ثالثا. كازاخستان

تتبنى تلك الدولة موقفاً يقضي بتطبيق الوضع القانوني للبحار على بحر قزوين بوصفه أفضل الحلول التي تضمن وتؤمن الحقوق البحرية لدول منطقة بحر قزوين، وتسعى كازاخستان دائما للتوافق مع روسيا مما يمكنها من دعم أنشطتها في عمليات التنقيب واستغلال الموارد النفطية والممرات المائية الروسية، حيث تتوافر لديها كميات ضخمة من النفط والغاز الطبيعي تقدر كمياتها بـ (٦) بليون طن من النفط و (٢) ترليون متر مكعب من الغاز الطبيعي (١٩). كذلك عقدت اتفاقية مشتركة معها عام ١٩٩٨ الإنشاء خط افتراضي بينهما يضع الحد الفاصل بين الحدود الساحلية الروسية والكازاخستانية وأنها تطمع في الحصول على النصيب الأوفر من بحر قزوين، لكن رد فعل الحكومات الأخرى تسبب في تعليق هذا الاتفاق ..

لخوفها من نسبة المحاصصة الساحلية غير المحببة لبقية دول حوض بحر قزوين.

4 .الدور الأمريكي

تضع الولايات المتحدة منطقة بحر قزوين في قمة اهتماماتها وأهدافها الاستراتيجية منذ أمد بعيد وكان التحرك الأمريكي المكثف ضد الغزو السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٩ أحد مظاهر هذا الاهتمام.

ولم تخف الإدارة الأمريكية الحالية في عهد بوش الابن التحدث بصراحة عن منطقة أسيا الوسطى والقوقار وفي القلب منها بحر قزوين منطقة مصالحللولايات المتحدة الأمريكية الحيوية، وفي هذا الإطار يؤكد الخبير الأمريكي (كينزر) ان منطقة بحر قزوين تتحول تدريجيا إلى بؤرة صراع دولي سيجعل منها واحدة من المناطق الساخنة في العالم وذلك لطبيعة الثروات النفطية وغيرها التي توجد فيه.

ولقد كان لانهيار الاتحاد السوفيتي واستقلال الجمهوريات سابقة الذكر سبباً في حدوث تغيرات جيوبولتيكية مهمة، إذ فتح استقلال هذه الدول الباب امام تدخل الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة في المنطقة لكونها منطقة غنية بالموارد الاقتصادية، فضلاً عن التجانس الثقافي بين دول المنطقة التي أعطاها هوية خاصة، وأعطت أحداث ١١ أيلول والولايات المتحدة الفرصة المناسبة، حتى تقوم بإعادة بناء الاتحاد السياسي والعسكري مع دول المنطقة برغبتها فضلا عن حجة مكافحة الإرهاب، كذلك أتاحت لها تلك الظروف منافسة روسيا في إقرار علاقات قوية مع دول أسيا والقوقاز كما هيأت تلك الظروف وقد أعطت تلك الأحداث المبرر للولايات المتحدة لتصفية حساباتها السياسية والاقتصادية مع منافسيها، إذ أتبعت أساليب عديدة مثل منح

الامتيازات وممارسة الضغوط ومضاعفة التهديدات الإقليمية واستغلال الدعاية لصالح احياء العزلة الروسية في آسيا الوسطى، وعلى هذا النحو أنشأت قواعد عسكرية في المنطقة واختيرت منطقة (ماناس) القريبة من (بشكك)في كازاخستان لتكون مركز أنشطة المواصلات، كذلك قامت بنقل بعض المهمات الستراتيجية من قاعة (انجرليك) التركية إلى قاعدة (ابشرون) في أذربيجان، فضلا عن إصرارها على توسيع حلف (الناتو) ليضم جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، خاصة الإسلامية منها المطلة على بحر قزوين، وأن الولايات المتحدة تدرك أن روسيا ما نزل تشكل منافسا مهما لها وقد يحبط محاولاتها المستقبلية للتغلغل السياسي والاقتصادي في المنطقة ولا سيما انها ما تزال تمتلك الترسانة النووية والإمكانات المنافسة للأمريكان (1)

ويؤدي المسعى الأمريكي هذا إلى خلط الأوراق وتداخلها بين الاستراتيجي والسياسي والاقتصادي وربط الأهداف الاقتصادية (السعي للسيطرة على موارد الطاقة بخطوط نقل النفط والغاز) بالتوجهات الاستراتيجية عسكرياً وسياسيا وإلى مزيد من الإرباك والاضطراب في سياسات الدول الإقليمية مثل ايران و روسيا والصين (٢٢).

وهكذا يتضح أن اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية من التغلغل في تلك المنطقة تأتي من كونها منطقة الموارد الكبرى المحتملة خارج الشرق الأوسط ، فضلا عن استمرار العنف في الشرق الأوسط الذي قد يؤدي إلى وقف الإمدادات النفطية أو تقليصها يعزز على نحو واسع اهتماماتها بموارد بحر قزوين.

٥. الدور التركي

لم تستطع تركيا حتى الآن أن تلعب دور فعال في منطقة بحر قزوين بال ن رغم م الأوراق الرابحة التي تمتلكها والتي من بينها الدين واللغة والموقع الجغرافي لأنها لم تطور مصالحها الاقتصادية مع دول آسيا الوسطى خصوصاً الناطقة بالتركية (٢٣) والتي يمكن أن تلعب دورا جيوستراتيجيا تتنافس فيه مع روسيا. ولكنها تتطلع إلى دور اقتصادي واسع تلعبه في التعاون المشترك مع هذه الجمهوريات التي تعد من أغنى الأقاليم العالمية في المواد الخام و خصوصاً النفط والغاز الطبيعي التي تعتبر حيوية بالنسبة للاقتصاد والصناعة التركية، خاصة وان تركيا تعاني من شحة الموارد النفطية وان الاندفاع التركي نحر تلك الدول هو اندفاع سياسي واقتصادي في أن واحد هو يحظى بدعم ومساندة الولايات المتحدة التي ترغب أن تقوم تركيا بملا الفراغ في الجمهوريات الجديدة بدلا من روسيا وإيران، خاصة وان هناك اتجاه متعاطف عرقيا معها في كل من أذربيجان وتركمانستان، تسعى تركيا الاستغلاله في صالحها في المنطقة (٢٤).

٦.الدور الإسرائيلي

اعتادت السياسة الإسرائيلية أن نراها دائبة على استثمار أية فرصة في التغيرات السياسية لكسر طوق العزلة الجغرافية حولها وكانت (إسرائيل) أسبق من غيرها في إعلان الاعتراف بالكيانات السياسية الجديدة وإقامة البعثات الدبلوماسية والقنصلية كاملة معها، ولعل ما يساعدها في ذلك هو ان حركتها في دول حوض بحر قزوين مقبولة دولياً، بل تلقى تشجيعا من أمريكا وتركيا لتأدية أدوار تتكامل وكل منها، وتحاول الوفود الإسرائيلية ان تكرس تحركاتها ونياتها غير مريبة تجاه تلك الدول، ولذا كانت مساعدتها موضع

ترحيب في إعادة تدريب وتجهيز القوات المسلحة في تلك الدول، فضلا عن وجود اعداد من المهاجرين اليهود من تلك الدول في إسرائيل ساعدها على ايجاد دبلوماسيين يقومون بمهماتهم على نحو مرض (٢٤).

ان نجاح (إسرائيل) وتغلغلها في دول بحر قزوين بصورة مباشرة او غير مباشرة عبر النافذة الأمريكية سيشكل ما يشبه الخاصرة الستراتيجية تضغط على الوطن العربي والعالم الإسلامي من الشمال والشرق (٢٦). فضلا عن رغبتها في الحصول على مصادر الطاقة من هذه المنطقة عبر تركيا.

نقل النفط

من مظاهر التنافس الدولي في منطقة بحر قزوين وفي محاولة لرسم جيوستراتيجة جديدة فيها فقد انتقل التنافس إلى خطوط نقل النفط، ونظراً لكون التأثيرات اللاحقة لانشاء هذه الانابيب الناقلة، على البيئة الاقتصادية العالمية من حيث تعلقها بالطاقة وتأثيرها على أسعار النفط واستقرارية ميزان المدفوعات للدول المختلفة من جهة ومن التداخلات السياسية والعسكرية للدول المالكة ومن جهة أخرى. ويمكن ايجاز اهم خطوط النقل المقترحة بالآتي ينظر خارطة (٢)

١.خط كازاخستان – قزوين – نوفورسيلسك على البحر الأسود ويتفرع بدوره إلى فرعيين، أحدهما يتفادى أرض الشيشان والآخر يمر بها، ويمثل هذا الخط امتدادا للنفوذ والمجال الحيوي الروسي وممارسته للدور الإقليمي السائد الذي تتمتع به روسيا ضمن ارث الاتحاد السوفيتي السابق لذلك بلاقي هذا البديل معارضة الجمهوريات المستقلة وحتى كازاخستان المتأثرة بروسيا كثيرا، حاولت احباط أي جهد يؤدي إلى هذا البديل وقامت بإعطاء (٥٠) من أسهم وحقول شركة (تنكيز) لشركة (شيفرون) المالكة وعلى ضوء هذه المواقف ستلجأ روسيا إلى مواقف مؤذية بحق أي دولة مستقلة، ومن هنا

يمكن فهم اصطفافها مع أرمينيا ضد أذربيجان وكذلك تأييد الانفصاليين الإبحار في جورجيا، ومن المتوقع أن تبلغ إجمالي التكلفة ١,٥ مليار دولار و خلال فترة زمنية تمتد إلى ثمان سنوات.

خط قزوين – جيهان على البحر المتوسط يبلغ طوله (١٧٦٠) كم منه (٤٦٨) كم في أذربيجان و (٢٥٥) كم في جورجيا و (١٠٣٧) كم في تركيا وبكلفة إجمالية قدرها (٢,٤) مليار دولار. وهو البديل التركي الذي تؤيده الولايات المتحدة الأمريكية، لأنه يحقق لتركيا مجموعة من المزايا يأتي في مقدمتها انه سيحقق لها مصدراً جيداً للدخل ويخفض من أعبائها الاقتصادية ويساهم في رفع المستوى المعاشي في المنطقة التي يمر فيها الخط وهي من أكثر مناطق تركيا تخلفا وضطرابا المنطقة الكردية)، كما انه سيشكل مصدراً إضافيا من مصادر القوة الجيويولنيكية لتركيا إلى جانب خطوط نقل النفط العراقي ، كذلك يساعدها على إطلاق يدها في تعاملها مع موضوعة المياه سواء مع العراق أو مع سوريا، كما انه سيحرم روسيا من المردود المالي الهائل الذي سندره خطوط الأنابيب لو مرت عبر أراضيها (٢).

وقد مارست تركيا دورا كبيرا وهاما على دول المنطقة من اجل انشاء خط باكو جيهان تحت شعار (إنقاذ البحر الأسود من التلوث البيئي) وتخفيف ازدحام السفن في المضايق التركية (٢) وكان البيان المعلن بين تركيا و اذربيجان على انشاط هذا الخط عن بيانا تاريخيا وتعبيرا عن رغبة دول المنطقة المستقلة في استغلال ثرواتها الطبيعية. وبعود الهدف من إنشاء هذا الخط إلى نقل النفط الآذري إلى تركيا ومنها إلى أوربا، وكذلك نوع من السعي الأمريكي الهادف إلى تشجيع تركبا للامتناع عن شراء النفط والغاز الإيراني (٢) . بسبب الصراع العقائدي بين أيران والولايات المتحدة منذ قيام

الثورة الإيرانية في ايران عام ١٩٧٩ وموافقها المعادية مع (أسرائيل) وأتهامها بالسعي لحيازة أسلحة نووية.

خط قزوين – بندر عباس عبر (ايران) بعد من الخطوط الأكثر اقتصادية بدفعة نفط اسيا الوسطى ويحر قزوين إلى الخليج العربي أو حتى إلى خليج عمان لما وراء مضيق هرمز، وهذا الخط هو الأكثر أثارة للجدل بسبب الموقف الأمريكي الساعي لحرمان ايران من تلك المميزات، ويتوقع أن تكون تكلفته (٢٨) مليون وبفترة ست سنوات.

٤.خط آسيا الوسطى (كازاخستان) – قزوين – سينكيانغ – المحيط الهادي تفضله الصين وهو أحد المشاريع العملاقة والطموحة ويمثل نقله جيو ستراتيجية كبيرة في آليات وأدوات استخراج ونقل النفط من الخليج العربي.

ان طرح نقط قزوين وآسيا الوسطى على شاطئ المحيط الهادي فضلا عن تأمين الاحتياطات الصينية بشكل مباشر سيغير من علاقات القوى المتعلقة أيضا بموضوعة الطاقة، ولعل الميزة الجيوستراتيجية الكبرى التي ستحصل عليها الصين فيما لو تم امرار هذا الخط عبرها تحررها من الابتزاز النفطي الذي يمكن أن تمارسه الولايات المتحدة في مرحلة ما خلال القرن الحالي عليها وعلى قوى أخرى كأوربا (٣٠).

٥.خط قزوين – تركمانستان – افغانستان – باكستان – البحر العربي: أن إنشاء خط بهذا الشكل سيزيد من القيمة الجيوستراتيجية والجيوبولتيكية لكل من أفغانستان، والباكستان. كما انه سيربط إقليمي وسط آسيا بجنوبها ويحل مشكلة مهمة تعاني منها الجمهوريات المستقلة لكونها مغلقة جغرافيا، لعدم امتلاكها مباشر على البحر (٣١) وتنبثق اهمية تلك المنطقة التي يمر فيها إلى موقعها الجغرافي باعتبارها طريق مرور محتمل لصادرات النفط والغاز الطبيعي من اسيا الوسطى وبحر العرب، فضلا عما تمثله أفغانستان من

موقعها استراتيجيا بين الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وشبه القارة الهندية وتقع في مكان وسط بين تركمانستان من جهة والأسواق المربحة والمرغوبة في الصين والهند واليابان من جهة أخرى وتواجه هذا الخط مجموعة من العوائق لعل في مقدمتها الوضع الافغاني المضطرب فضلا عن وعورة الأراضي التي يمر فيها والذي يكلف مليارات من الدولارات.

الخاتمة:

يتضح لنا من خلال البحث ان الخلافات بين الدول المتشاطئة حول الوضع القانوني لبحر قزوين وكيفية اقتسام ثرواته وتفكك الاتحاد السوفيتي وظهور الجمهورات المستقلة الجديدة قد سهل للقوى الإقليمية والدولية النفوذ إلى هذه المنطقة للاستئثار بثرواتها وايجاد موطئ قدم فيها والتي ستكون من المناطق الأكثر سخونة في العالم والتي سيتركز حولها الاهتمام في المرحلة القادمة وذلك للإمكانات النفطية الهائلة والاحتياطات الغازية، فضلاً عن كونها منطقة شديدة الحساسية لتقاطع وتناقض السياسات الإقليمية الدولية لكل من روسيا والولايات المتحدة وإيران وتركيا. وان السبيل الوحيد لإبعاد تلك المنطقة عن تدخلات الدول الكبرى هو التنسيق والتعاون بين دولها وإيجاد نظام قانوني لاقتسام الثروات، وكذلك التنسيق والتعاون بين الدول الإقليمية والإسلامية من شأنه أن يضع العراقيل أمام الولايات المتحدة الأمريكية ويحد من محاولاتها من السيطرة على المنطقة سياسيا واقتصاديا خاصة بعد أن وضعتها بين فكي كماشة من الشرق والغرب بعد تدخلها العسكري بأفغانستان والعراق .

الهوامش:

1.بحر قزوين الأمن والنفط والسياسة (ملف خاص)، مجلة مختارات إيرانية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد ٢٥، أب، ٢٠٠٢، ص ٥٥.

٢ .د. احمد ثابت ايران وتحديات الخلاف حول ثروات بحر قزوين، مجلة مختارات ايرانية، العدد ٢٥ أب، ٢٠٠٢، ص ٧٧.

3.ناظم الشمري، محمد أحمد الدوري الهيمنة الأمريكية على نفط الخليج العربي، بغداد، ١٩٩٧، ص ١٠-٩.

4.د. احمد ثابت مصدر سابق، ص ٧٧. ٥. بحر قزوين، الأمن والنفط والسياسة ملف خاص)، مصدر سابق، ص ٥٧. ٦ .د. احمد ثابت مصدر سابق، ص ٧٨.

7.محمود أبو الفضل الصراع النفطي في آسيا الوسطى، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١٣١ ، ١٩٩٨ ، ص ٢٧٤-٢٧٩. 8.ارد. احمد ثابت، مصدر سابق، ص ٧٩.

9.المصدر نفسه، ص ٧٩. ١٠ . اندر بوناكورسكي، عرض رفعة الشطرنج، ترجمة: ناطق خلوصي، مجلة الموقف الثقافي، العدد ١٤ ، ١٩٩٨، ص ١٢٦.

١١ .سوسن اسماعيل محمد العلاقات الأمريكية – الروسية، ٢٠٠٠-١٩٩١، أطروحة ماجستير ، كلية العلوم السياسية، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٠٥.

١٢. بحر قزوين والرؤية الأمنية، مجلة مختارات إيرانية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية العدد ٢٥ ، أب، ٢٠٠٢، ص ٦٠-٦١.

١٣ .آفاق التعاون الايراني الهندي في آسيا الوسطة والقوقاز، مجلة مختارات ايرانية، العدد ٢٨ ، ٢٠٠٢، ص ٦٥.

١٤ . ايران والخريطة الجديدة لغرب وشمال غرب اسيا، مجلة مختارات ايرانية، العدد ٢٨، ٢٠٠٢، ص ٦٥.

١٥ .د. فوزي درويش التنافس حول بحر قزوين مجلة السياسة الدولية القاهرة، العدد ١٤٣، ٢٠٠١، ص ٢٥٦.

١٦ .د. احمد ثابت مصدر سابق، ص ٧٩.

١٧ .بحر قزوين والرؤية الأمنية، مجلة مختارات إيرانية، العدد ٢٥، ص 1.

١٨، المصدر نفسه، ص ٥٨. ١٩ .د. فوزي درويش مصدر سابق، ص ٢٥٨.

٢٠، بحر قزوين والرؤية الأمنية مجلة مختارات ايرانية، العدد ٢٥، ص

٢١ محمود عبد الواحد محمود التنافس الدولى على آسيا الوسطى، مجلة الحكمة، العدد ٢٨ ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٦. ٢٢ .د. احمد ثابت مصدر سابق، ص ٧٨.

٢٣ .كميل جمال سباق محموم بين الرابطة الأمريكية والرابطة الروسية النفط قزوين، مجلة الشاهد العدد ١٦١ ، كانون الثاني، ١٩٩٩، ص ٩٨.

٢٤ .أ.د. محمود على الدواد، أهداف السياسة الخارجية التركية في آسيا الوسطى، مجلة دراسات سياسية العدد ١٠، ٢٠٠٢ ، ص ١٦

٢٥.د. ظافر ناظم سلمان العرب وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية العرب وآسيا، بغداد ٢٠٠٠، ص ٣٥.

٢٦ .د. عبد الوهاب القصاب الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة آسيا الوسطى وتأثيرها على الأمن القومي العربي العرب وآسيا، بغداد، ٢٠٠٠، ص ١٣٩ – ١٤٠.

٢٧ .المصدر نفسه، ص ١٤٠. ٢٨ . كميل جمال، مصدر سابق، ص ٦٦.

٢٩ .ايران والخريطة الجديدة لغرب وشمال غرب آسيا، مصدر سابق، ص ٣٧.

٣٠ .د. عبد الوهاب القصاب، مصدر سابق، ص ١٤٤المصدر نفسه، ص ١٤٥.

٣١ ، شاي كومار، من أفغانستان إلى كولومبيا، ترجمة فالح عبد القادر، مجلة الحكمة العدد ٢٨ آب ٢٠٠٢، ص ٢٨.

المصادر:

1.ابو الفضل ، محمود ، الصراع النفطي في آسيا الوسطى ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٩٩٨، ١٣١

2.ثابت ، احمد ، ايران وتحديات الخلاف حول ثروات بحر قزوين ، مجلة مختارات ايرانية ، العدد ٢٥ ، ٢٠٠٢

3.جمال ، كميل ، سباق محموم بين الرابطة الأمريكية والرابطة الروسية لنفط قزوين ، مجلة الشاهد ، العدد ١٦١ ، ١٩٩٩.

٤.الداود ، محمود علي ، اهداف السياسة الخارجية التركية في آسيا الوسطى ، مجلة دراسات سياسية ، العدد ١٠ ، ٢٠٠٢.

٥. درويش ، فوزي ، التنافس حول بحر قزوين ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٤٣ ، ٢٠٠١.

6.سلمان ، ظافر ناظم العرب وجمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية، العرب واسيا ، بغداد، ٢٠٠٠.

7.الشمري ، ناظم ، محمد احمد الدوري ، الهيمنة الأمريكية على نفط الخليج العربى ، بغداد ٢٠٠٢٠

8.القصاب ، عبد الوهاب ، الاهمية الجيوستراتيجية لمنطقة اسيا الوسطى وتأثيرها على الامن القومي العربي ، العرب واسيا) ، بغداد ،

9.كورسكي ، اندريونا ، عرض رقعة الشطرنج ، ترجمة ناطق خلوصي ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد ١٤ ، ١٩٩٨

١٠ . كومار ، شاي ، من افغانستان الى كولومبيا ، ترجمة فالح عبد القادر ، مجلة الحكمة ، بغداد ، العدد ٢٨ ، ٢٠٠٠

١١ ، محمد موسى اسماعيل ، العلاقات الأمريكية الروسية ١٩٩١–٢٠٠٠ ، اطروحة ماجستير كلية العلوم السياسية ، بغداد ، ٢٠٠١

١٢ . محمد ، عبد الواحد محمود التنافس الدولي لاسيا الوسطى، مجلة الحكمة العدد ٢٨ ، ٢٠٠٢.

١٣ ايران و الخريطة الجديدة لغرب وشمال غرب آسيا الوسطى، مجلة مختارات ايرانية، العدد ٢٨ ، ٢٠٠٢.

١٤ ، بحر قزوين ، الأمن والنفط والسياسة ، (ملف خاص) ، مجلة مختارات ايرانية مركز الأهرام، للدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ، العدد.

خارطة (1) الدول المطلة على بحر قزوين

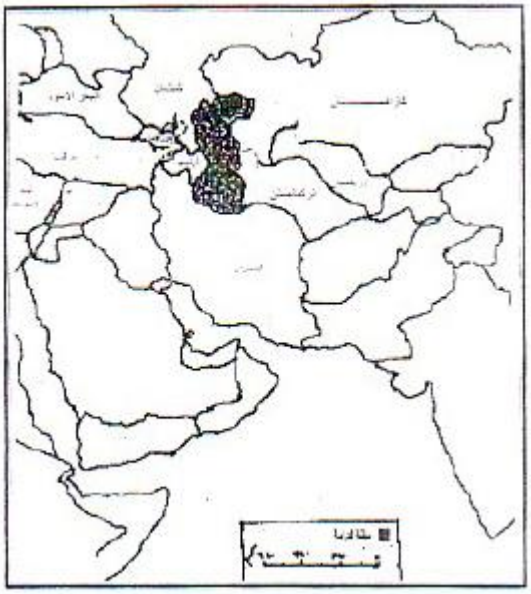

المصادر من عمل الباحث بالاعتماد على

شان كوستر من الفلست في كوتومين مجلة المالية، بغداد المعاد ٢٠٠٩

خارطة (2) انابيب نقل النفط المقترحة